قرّر الاتّحاد العام للأدباء والكتّاب العرب تكريم مجلّة **الآداب** بعد مرور واحد وأربعين عاماً على صدورها. وسيُدعى كبارُ الشّعراء والقصّاصين والرّوائيّين والنّقّاد والمسرحيين الّذين رافقوا مسيرة **الآداب** أو نشأوا بين صفحاتها أو ترعرعوا في كنفها إلى ندوة تستمرّ ثلاثة أيّام تُعقد في بداية هذا الصّيف في عمّان أو تونس. ويرجَّح أن يكون بين الكتّاب الّذين يُدلون بشهاداتهم أو يلقون أبحاثاً عن دور **الآداب** كلٌّ من نزار قبّاني، وعبد الوهاب البياتي، وأدونيس، ومحمود درويش، وسعد الله ونّوس، وحنّا مينة، وفيصل درّاج، وعبد الرحمن منيف، ومحمّد برادة، وأحمد عبد المعطي حجازي، ومحمود أمين العالم، ويحيى يخلف. وسيكون هناك محور خاصّ عنوانه «مجلّة **الآداب** وآفاق المستقبل» يُشارك فيه عددٌ من النّقّاد والشّعراء الّذين واصلوا الكتابة في المجلّة أو زاد إنتاجهم فيها غزارةً، إلى جانب هيئة تحرير **الآداب**.

* * *

أهو خبرٌ مفرحٌ أم محزن أن تُكَرَّم مجلّة، في وقت نشهد فيه ذبْحَ الأفكار الّتي حملتها، بسيف الأنظمة الرّديئة والأحزاب المنهارة وسياسة النّظام العالمي الجديد؟ وهل تكريم هذه المجلّة تكريم لميّت، أم هو من بابِ التّعويض عن خسارة المثقّفين العرب لآمالهم الكبرى؟

لا، يا سادة، لم نمت! ونرفض أن نكون مشجباً لآمالكم الضّائعة. سنواصل سيرنا كُلّما عظُمَ يأسنا، حتّى نرى ما نريد أو ﴿يقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾.

لن نقبل بصلح مع إسرائيل، أيّاً تكن «رِفْعَةُ» الشّروط الّتي حصّلها الموقّع العربي من «عدوّه» الإسرائيلي. فليس ثمّة حلّ «عادل» في مثل الثّنائيّة الّتي نعيشها: نظامٌ عالميٌّ أحاديُّ القُطب، أحاديّ التوجّه، كُلّي الدّعم لإسرائيل؛ ونظام عربيّ مُخلْخَل، قامعٌ لشعوبه، مستَجْدٍ أو معزولٌ أو مُزايد. وليست «الواقعيّة» الّتي يدعونا إليها البعضُ قدراً. فليست الظّروف الّتي ننوءُ بها إلاّ نتيجةً لمسيرةٍ طويلة من التّراجع العربي؛ ذلك أنّ الأنظمة العربيّة الّتي قمعتْ شعوبها، وبذّرَتْ أموالَها، وشرذمتْ أولويّاتها، لا يحقّ لها أن تتشدّق بـ «الواقعيّة»، لأنّها هي الّتي أوصلتنا إلى هذه «الواقعيّة» المسخ عبر عقود من الكبت وانعدام التّخطيط والاستئثار بالسّلطة!

وكما أنّ الواقع الرّاهن ليس قدراً انصبّ علينا، فإنّ مقاومته والعمل من أجل ظروف أفضلَ وواقعٍ أكرمَ ليسا قدراً، بل هما خيارٌ نقبله أو نرفضه: نقبله، فلا نجني سوى احترامِنا لأنفسنا ولشرفِ كلمتنا (ما أجمل هذه العبارة العتيقة الأثريّة: «شرف الكلمة»!)؛ أو نرفضه فنجني الأموال والأمان وتبكيتَ الضّمير.

نحن لا نريد أن نحارب الأنظمة العربيّة. بل نحن أعجز من أن نرفع أعيننا في وجه مسلّح أو حاكم. حسبنا أن نكون معارضة بنّاءة، معارضةً موجّهةً ضدّ إسرائيل والإمبرياليّة بالدّرجة الأولى؛ معارَضَةً داعمةً لجهد عربيّ موحَّد وطاقة عربيّة رسميّة وشعبيّة واحدة. فنحن يا سادة نكره الانتحار، ونكره أن نتعرّض للتهديدات، ونكره أن نُجْبَر على كمّ أفواهنا.

نحن لا نريد شيئاً من الأنظمة. بإمكانها أن تأخذ هواءنا وسجائرنا وطاولاتنا. وبإمكانها أن تشهّر بنا، وأن تنعتنا بـ «البغال» و«التّيوس». وبإمكانها أن تسمّينا عملاء لسوريا إن نحن وقفنا ضدّ اتفاق غزّة / أريحا، أو تسمّينا عملاء لمنظمة التّحرير أو لغيرها إن نحنُ عارضنا اتفاقَ «سلام» بين سوريا وإسرائيل. وبإمكان الأنظمة أن تمنع مجلّتنا من العبور إلى ما وراء حدودها؛ وبإمكانها أن تحجب المجلّة عن المشتركين بها؛ وبإمكان الرّقيب «المثقّف» أن يحذف وأن يقصّ وأن يفعل ما يشاء.

بإمكان الأنظمة أن تقوم بكلّ ما تريده. نحن لا نريد إلاّ... صفحة واحدةً في الشّهر: نقول فيها ما نحبّ وما نبغض، بأسلوب معارضة بنّاءٍ نتجنّب فيه القدحَ الشّخصيّ والمؤامرات السّياسيّة والاستزلام لأحد ضدّ أحد. صفحة بيضاء واحدة، يا ناس، نقول بها رفضنا للديكتاتوريّة ورفضَنا للسّلام المزوَّر ورفضَنا للتدجين ورفضَنا للتدجيل.

لا نريد تكريماً ولا تأبيناً ولا معارك نخسر فيها جميعاً ونبدّد طاقاتنا هدراً. نريد: فسحة من الحريّة، بقدر صفحة، أو ثمانين صفحة، أو ستّ وتسعين صفحة إن كنتمُ كرماء وإنْ كُنّا نستحقّ هذا الكرم.

فالجدّيّة الأكاديميّة موجودةٌ عند النّقّاد العرب، والإبداع العربي مازال يفيض من قرائح الشّعراء والقصّاصين، والآمال القوميّة والتقدميّة لم تخنقها الضّغوطُ المادّيّة ولا محاولات التّيئيس. ما نريده، في عيد تكريمنا، هو أن تبقى للمثقّف العربي وللمواطر العربي **حريّةُ أن يقول: لا؛ أن يصرخ: لا؛ أن يبدع: لا!**.

خذوا كُلّ شيء منّا. ووفّروا على أنفسكم، يا أصدقاءنا المثقّفين، احتفاءكم بمجلّتكم الّتي تعاهد نفسها وتعاهدكم أن تواصل سيرها بعنادٍ لا يلين. سيروا معنا، بلا شهادات ولا كلمات تكريم أو تأبين أو مديح. ولنجمعْ أصواتنا صوتاً واحداً، لكي لا يأتي يومٌ نفقد فيه جميعنا أصواتنا وتنكسر أقلامُنا!

الآداب

تكريم مجلّة... وهوان أمّة!